رسالة من لندن : زيارة بيغن : صورة من التناقضات الاسرائيلية

مناحيم بيغن معروف لدى العرب بمسؤوليته عن دير ياسين ، معروف لدى الانكليز بمسؤوليته عن حادثة فندق الملك داود واعدام جنديين بريطانيين ، معروف لدى الصهاينة بمسؤوليته عن احراج الوكالة اليهودية . وسقط بيغن ضحية لهجوم ثلاثي عند زيارته لندن في كانون الثاني الماضي. وقام بهذه الزيارة « الودية » استجابة لدعوة الفرع البريطاني لحزب حيروت المتطرف (١٥٠٠ عضو في بريطانيا) وافتتاح مؤتمر الفرع الاول . وكان المفروض ان يتكلم في اجتماعين عامين ولكنهما الغيا بعد التهديد بالقاء قنابل فيهما . واكتفى بيغن بعقد مؤتمر صحفي في فندقه والتحدث في عشاء في مطعم قداسية اليهودي .

جاءت المعارضة البريطانية بأعنف مظاهرها من الفاشيين، جماعة كولن غوردن (الحركة البريطانية) ومنظمة الجبهة القومية . ووزعت كلتا المنظمتين مناشير حينما ذهب بيغن تطالب بمحاكمته كمجرم حرب ، وهي صيحة رددتها الديلي اكسبرس بقولها « انه لسعيد الحظ الا يجد نفسه في قفص الاتهام كمجرم حرب بالنظر لسجل اعماله » .

واجمعت الصحافة البريطانية دون استثناء على مهاجمته واستهجان زيارته — ربما باستثناء النيو ستيتسمان التي حاولت ان تقارنه بغيره من قواد حركات التحرير كمكاريوس وكنياته ، وبالرغم من اعترافها بتاريخه الاسود . ولا بد للانسان ان يشم رائحة الشوفينية الانكليزية في هذه الحملة الصحفية بدليل ان اكثر الصحف تحاملا عليه كانت الصحف الشعبية الرائجة كالديلي اكسبرس وجريدة صن التي حملت كلمات « عد الى بلدك ، يا مستر بيغن ، اننا لا نريد ان نقابلك » . ومن ثم جاءت الحملة البريطانية مركزة على جرائم بيغن بالنسبة للجنود الانكليز . وقلما اشارت الى جرائمه ضد العرب . بيد ان الغارديان اشارت في افتتاحيتها الى دير ياسين وما ادت اليه في تشريد اللاجئين .

اما المعارضة العربية فكان من الطبيعي لها أن تأخذ منحى مشابها فتبكي هي الاخرى على موتاها. وكانت صحيحة في تكتيكها حسب رأيي . ان بيغن من اثمن الكنوز للاعلام العربي . وكلما تكلم اكثر كلما غذى الجانب العربي بمزيد من العتاد . ولم تجلب زيارته الى لندن سرورا لاحد بقدر ما جلبت للممثلين العرب الذين وجدوا خلودهم الى الراحة هو حقا أسلم اجراء نافع . كل ما يراد منهم في مثل هذه المناسبة هو تحريك الهواء بضربة او ضربتين وترك العاصفة تأخذ مجراها . وروي ان السفراء العرب قد فكروا بتقديم طلب الى الحكومة لتسليم بيغن الى الدول العربية لمحاكمته. ووجدت التايمس رياء في هذا الطلب لان رئيس عصابة شترن ، نائان يالنمور ، المسؤول بالاشتراك عن المذابح قد زار ايضا لندن ولم يثر العرب اي ضجة حوله لانه أصبح يؤيد « فتح » الان . وعلى كل فان الحكومة قد نفت أمام البرلمان استلام اي طلب من الجانب العربي في هذا الشأن .

جاءت المعارضة المركزة من الجانب اليهودي ، اذ رات الطائفة اليهودية عموما احراجا لها في مجيئه بعد جرائمه ضد مواطنين انكليز ، وهكذا صدر أمر من رئاسة الطائفة بعدم اعارة قاعة اي كنيس لاجتماعاته . ولم تثر المعارضة اليهودية بالطبع لاعماله ضد العرب او ضد الانكليز ، فالهاغانه كانت قد اشتركت بنفسها في نسف فندق الملك داود. الشعارات التي حملها الصهاينة كانت تحمل هذه الكلمات المتسترة « بيغن عدو الصهيونية » و« الصهاينة يعارضون بيغن » . لماذا يعارضونه، هم يعرفون الجواب . ويعرفه ايضا من تتبع تاريخ الحركة . .

مناحيم بيغن هو وريث جابوتنسكي وحزب حيروت هو الامتداد الاسرائيلي لحزب التصحيحيين ، او الصهاينة الجدد . وكان جابوتنسكي يؤكد للعالم انه لا توجد هناك خلافات بينه وبين اجنحة الحركة الصهيونية . الخلاف الوحيد هو انه جريء وصريح بينما يخاتل الآخرون . وقد كرر بيغن نفس الموقف في هذه المناسبة عندما اتهم بقية الصهاينة بالجبن. وهذا بالضبط ايضا الاتهام الذي وجهه بن غوريون لجابوتنسكي . انه يسبب احراجا للحركة . وكانت مسألة خضوع التصحيحيين للربط والضبط النقطة الوحيدة التي احتدم حولها الخلاف في المفاوضات التي جرت بين الطرفين في الثلاثينات . وتلون الخلاف طبعا بالوان شخصية وحزبية واشتبك بكثير من الثارات والخصومات الطويلة . والصهاينة هنا كالعرب عندما يحاولون اعطاء الخصومات